ISSN: 2957 - 8108

مجلة بحوث

جامعة حلب في المناطق المحررة

المجلد الثالث ـ العدد الثاني

الجزء الثاني

7 / 12 / 1445 هـ - 13 / 6 / 2024 م

علميّة - ربعيّة - محكّمة

تصدر عن

جامعة حلب في المناطق المحرّرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الهيئة الاستشارية لمجلة جامعة حلب في المناطق المحررة

د. جلال الدين خانجي　　أ.د زكريا ظلام　　أ.د عبد الكريم بكار

أ. د إبراهيم أحمد الديبو　　أ.د. أسامة اختيار　　د. أسامة القاضي

د. يحيى عبد الرحيم

هيئة تحرير مجلة جامعة حلب في المناطق المحررة

رئيس هيئة التحرير: أ.د أحمد بكار

نائب رئيس هيئة التحرير: أ.د. عماد برق

أعضاء هيئة تحرير البحوث التطبيقية	أعضاء هيئة تحرير البحوث الإنسانية والاجتماعية
أ.د. عبد العزيز الدغيم	أ.د عبد القادر الشيخ
أ.د ياسين خليفة	د. جهاد حجازي
أ.د. جواد أبو حطب	د. ضياء الدين القالش
أ.د. عبد الله حمادة	د. سهام عبد العزيز
أ.د. محمد نهاد كردية	د. ماجد عليوي
د. ياسر اليوسف	د. أحمد العمر
د. كمال بكور	د. محمد الحمادي
د. مازن السعود	د. عدنان مامو
د. عمر طوقاج	د. عامر المصطفى
د. محمد المجبل	د. أحمد أسامة نجار
د. مالك السليمان	
د. عبد القادر غزال	
د. مرهف العبد الله	

أمين المجلة: هاني الحافظ

مجلة جامعة حلب في المناطق المحررة

مجلّة علميّة محكّمة فصليّة، تصدر باللغة العربيّة، تختص بنشر البحوث العلمية والدراسات الأكاديمية في مختلف التخصصات، تتوفر فيها شروط البحث العلمي في الإحاطة والاستقصاء ومنهج البحث العلمي وخطواته، وذلك على صعيدي العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الأساسية والتطبيقية.

رؤية المجلة:

تتطلع المجلة إلى الريادة والتميز في نشر الأبحاث العلميّة.

رسالة المجلة:

الإسهام الفعّال في خدمة المجتمع من خلال نشر البحوث العلميّة المحكّمة وفق المعايير العلمية العالمية.

أهداف المجلة:

- نشر العلم والمعرفة في مختلف التخصصات العلميّة.
- توطيد الشراكات العلمية والفكرية بين جامعة حلب في المناطق المحررة ومؤسسات المجتمع المحلي والدولي.
- أن تكون المجلة مرجعاً علمياً للباحثين في مختلف العلوم.

الرقم المعياري الدولي للمجلة ISSN: 2957-8108

الموقع الإلكتروني للمجلة: www.journal.uoaleppo.net **البريد الإلكتروني:** journal@uoaleppo.net

معايير النشر في المجلة:

١- تنشر المجلة الأبحاث والدراسات الأكاديمية في مختلف التخصصات العلميّة باللغة العربيّة.

٢- تنشر المجلة البحوث التي تتوفر فيها الأصالة والابتكار، واتباع المنهجية السليمة، والتوثيق العلمي مع سلامة الفكر واللغة والأسلوب.

٣- تشترط المجلة أن يكون البحث أصيلاً وغير منشور أو مقدم لأي مجلة أخرى أو موقع آخر.

٤- يترجم عنوان البحث واسم الباحث والمشاركين أو المشرفين إن وجدوا إلى اللغتين التركية والإنكليزية.

٥- يرفق بالبحث ملخص عنه باللغات الثلاث العربيّة والإنكليزية والتركية على ألا يتجاوز ٢٠٠-٢٥٠ كلمة، وبخمس كلمات مفتاحية مترجمة.

٦- يلتزم الباحث بتوثيق المراجع والمصادر وفقاً لنظام جمعية علم النفس الأمريكيّة (**APA7**).

٧- يلتزم الباحث بألّا يزيد البحث على ٢٠ صفحة.

٨-ترسل البحوث المقدمة لمحكمين متخصصين، ممن يشهد لهم بالنزاهة والكفاءة العلمية في تقييم الأبحاث، ويتم هذا بطريقة سرية، ويعرض البحث على محكّم ثالث في حال رفضه أحد المحكّمين.

٩- يلتزم الباحث بإجراء التعديلات المطلوبة خلال ١٥ يوماً.

١٠- يبلغ الباحث بقبول النشر أو الاعتذار عنه، ولا يعاد البحث إلى صاحبه إذا لم يقبل، ولا تقدم أسباب رفضه إلى الباحث.

١١- يحصل الباحث على وثيقة نشر تؤكد قبول بحثه للنشر بعد موافقة المحكمين عليه.

١٢-تعبّر الأبحاث المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها، لا عن رأي المجلة، ولا تكون هيئة تحرير المجلة مسؤولة عنها.

جدول المحتوى

أثر الذكاء الاستراتيجيّ في إدارة الأزمات ٩

أ. فايز رشيد د. محمود عريض د. حسام خديجة

أخطاء زمن الفعل في الكتابات الامتحانية لدى طلاب اللغة الإنكليزيّة السوريّين ٤١

أ. غياث الشيخ إبراهيم د.عبد الحميد معيكل

الاستدلال بالمقاصد الشرعيّة في الثورة السوريّة ٦٩

أ. عبد الرحمن اليوسف د. محمد راشد العمر

الغزو السوفيتيّ لأفغانستان وأثره في التدخل الأمريكي المباشر في الخليج العربيّ ٩٥

أ. أحمد ازعيتر د. سهام هنداوي

القَسَم في مقام التّبرئة ١١٩

أ. جابر فرحان السَّلامة د. ضياء الدّين عبد الغنيّ القالش

سلاح الغوّاصة ودور السلطان عبد الحميد الثاني في إدخالها إلى البحريّة العثمانيّة ١٤٥

أ. حسام عبد المنعم الشحاد د. سهام محمد هنداوي د. عدنان مامو

تَكْرَارُ المَعْرِفَةِ فِي دِيوَانِ (الأَعْشَى الكَبِيرِ) ١٦١

أ. عدنان محمّد الغرَّاء د. ضياء الدين عبد الغنيّ القالش

دراسة استقصائية لطرق التجزئة العميقة الخاضعة وغير الخاضعة للإشراف المستخدمة في استرجاع الصور من قاعدة بيانات ضخمة ١٩٧

أ. صهيب بكور د. محمود موسى د. عبد الحافظ عبد الحافظ

دراسة خصائص المياه الجوفية وصلاحيتها للاستخدامات المنزلية والزراعية لعينة مختارة من الآبار في شمال محافظة حلب ٢٣٣

أ. علي شوبك د. بدر الدين الدخيل

دور إدارة المواهب في الصحة التنظيمية لدى العاملين في جامعات الشمال السوريّ ٢٦٩

أ. حسام إبراهيم د. محمود عريض د. عمر درة

مبدأ "المعاملة بالمثل" ومدى تطبيقه في الحالة السوريّة ٣١٥

أ. أيمن أحمد البيوش د. عبد الرحمن عزيزي

علاقة الاغتراب النّفسيّ بمعنى الحياة لدى عيّنة من طلّاب كليّة التّربيّة في جامعة إدلب ٣٤٥

أ.باسم يوسف د.عبد الحي المحمود

- الفيصل، تركي. (٢٠٢٠). **الملف الأفغاني والمجاهدين العرب**، الصندوق الأسود: تقديم عمار تقي. تم استرجاعه بتاريخ ٢٠٢٢/٩/٢٠ على الرابط: https://www.youtube.com/user/taqiAmar
- المصري، أحمد. (د ت). **الاستراتيجية الأمريكية والشرق الأوسط**، *مجلة الفكر الاستراتيجيّ العربيّ*، تم استرجاعه بتاريخ ٢٠٢٢/٨/٢١، على الرابط: https://www.alukah.net
- **المراجع الأجنبية من الكتب:**

- **The Real War**. London: Sidgwick and Jackson. (١٩٨٠). Nixon, Richard.
- Klare, Michael. (2001). **Resource Wars**: The New Landscape of Global Conflict. New York: Maropolitan Book.
- Carter, Jimmy. (1977). **Human Rights and Foreign Policy**. Commencement Speech. Notre Dame University.

القَسَم في مقام التّبرئة
دراسة بلاغيّة في حديث الإفك

إعداد

أ.جابر فرحان السَّلامة د. ضياء الدّين عبد الغنيّ القالش

ملخص البحث:

يقف هذا البحث عند أنماط القَسَم التي وردت في حديث الإفك الذي روته عائشة أمُّ المؤمنين، إذ اتُّهمت من المنافقين في المدينة المنورة بالبُهتان مع الصحابيّ صفوان بن المعطّل رضي الله تعالى عنه، وعائشة رضي الله تعالى عنها أمام ذلك لم تكن لها حجّة تثبت براءتها من خلالها إلّا أن تُشهد الله تعالى على صدقها وعِفَّتها وطهارتها.

وفي هذا البحث كلام على أهمِّ وسيلة خطابيّة في هذا المقام، إذ لا وسيلة غيره تثبت براءة عائشة وصفوان مما رُميا به من زور وبهتان، ألا وهي القَسَم، فيعالج البحثُ أساليب القَسَم المتنوعة التي استعملت في رواية الحديث في المقامات المتعددة، من قَسَم الأشخاص الذين سعوا إلى إثبات البراءة، أو إظهار نعمة الله تعالى في إظهار هذه البراءة بقرآن يُتلى إلى يوم الدين، فيقف الباحث عند هذه الأقسام ويبيّن مقاماتِها التي جاءت فيها، فلكل كلام مقام، ثم يركّز على الأقسام التي جاءت في مقام التبرئة فيفصّل في الفروع التي انقسمت إليها من تبرئة النفس من قبل عائشة أو صفوان رضي الله تعالى عنهما، أو تبرئة الأهل من زوج وأب وأمّ، أو الأصحاب من الرجال والنساء الذين يُعتدّ بشهاداتهم، أو إظهار تبرئة الله تعالى، ثم كيف نزلت وكيف تأثّر السياق وكيف اختلف الكلام لما اختلف المقام.

كلمات مفتاحيّة: القَسَم – مقام التبرئة – حديث الإفك –علم المعاني – دراسات بلاغيّة.

Oath in acquittal position - A rhetorical study in the hadith of Alifk

Prepared by:

Mr. Jaber Farhan Salameh Dr. Dia Al-Din Abdul Ghani Al-Qalesh

Abstract:

This research depends on the patterns of swearing that were mentioned in the false hadith narrated by Aisha, the mother of the believers, who accused her of being hypocrites in Madinah Al-Munawwarah with insulting the companion Safwan bin Al-Muta'al, may God have mercy on him. In front of that, Aisha, may God be pleased with her, did not argue in proving her innocence. God Almighty bears witness to her sincerity, chastity and purity.

In this research, we will talk about the most important rhetorical method in this regard, as there is no other means to prove the innocence of Aisha and Safwan from the falsehood and slander they were accused of, namely the oath. Proving innocence, or demonstrating the grace of God Almighty in manifesting this innocence in a Qur'an that will be recited until the Day of Judgment. The soul by Aisha or Safwan, may God Almighty be pleased with them, or the exoneration of the family from a husband, father and mother, or companions of men and women whose testimonies are counted, or showing the innocence of God Almighty, then how it was revealed and how the context was affected and how the speech differed when the place differed.

Keywords: The oath - the position of acquittal - the hadith of al-ifk - the science of meanings - rhetorical studies

Yemin beraat pozisyonunda - Elifk hadisinde bir belagat çalışması

Hazırlayanlar:

Mr. Jaber Farhan Salameh Dr. Dia Al-Din Abdul Ghani Al-Qalesh

Özet:

Bu araştırma, müminlerin annesi Aişe'nin rivayet ettiği İfk hadisinde geçen yemin kalıpları üzerinde durmaktadır. Medine'deki münafıklardan biri, arkadaşı Safvan bin El-Mu'attal ile onu yalancılıkla suçladı. Yüce Allah ondan razı olsun.

Ayishah. Yüce Allah ondan razı olsun. Cenab-ı Hak onun suçsuzluğunu ispat etmek için onun samimiyetine, iffetine ve temizliğine şahitlik eder. Bu araştırmamızda bu konuda en önemli retorik yöntemden bahsedeceğiz. Çünkü kendisine yöneltilen suçlamalardan Aişe ve Safvan'ın masumiyetini kanıtlamanın başka yolu yoktur. O yemindir. Araştırma, çeşitli makamlarda hadis rivayetinde kullanılan çeşitli küfür yöntemlerini ele almaktadır. Masumiyetini kanıtlamaya çalışan kişilerin yemini. Veya Cenab-ı Hakk'ın bu masumiyeti, kıyamete kadar okunacak bir Kur'an ile tecelli etmesindeki lütfu.

Araştırmacı bu bölümlerde durur ve her kelimenin bir makamı olduğu için geldikleri makamları gösterir. Ardından beraat yerine gelen bölümlere odaklanıyor. Aisha veya Safwan tarafından beraat etmekten hangi dallara ayrıldığını detaylandıracak, Allah ikisinden de razı olsun. Böylece araştırmacı bu bölümlerde durur ve geldikleri istasyonları gösterir, çünkü her kelimenin bir makamı vardır, daha sonra beraat makamında gelen bölümlere odaklanır, böylece beraat makamından ayrıldıkları dalları detaylandırır. Aişe veya Safvan'ın ruhu, Allah ikisinden de razı olsun. Ya da aileyi kocadan, babadan, anneden veya şahitlikleri sayılan erkek ve kadınların arkadaşlarından veya Cenâb-ı Hakk'ın beraatini gösterdikten sonra onun nasıl nazil olduğunu ve bağlamın nasıl etkilendiğini ve kelimelerin nasıl farklılaştığını göstermesi. yer farklıydı.

anahtar kelimeler: Yemin - beraat pozisyonu - el-ifk hadisi e - mana ilmi - belâgat çalışmaları

مقدمة

قضى الله تعالى على عباده الحكم بالعدل، فاستدعى ذلك الإتيان بالحجّة على صدق القول أمام قاضي الأرض الحاكم بأمر قاضي السماء، وحين تغيب هذه الحجّة يَحار المظلوم الذي ينشُد العدل إذ لا يستطيع إثبات الحقّ الذي جعله الله تعالى فَرَحاً وفَرَجاً لصاحبه، فلا تكون مندوحة لهذا المظلوم الضعيف مهضومِ الحقّ ضعيفِ الجانب إلّا أن يستعين بالسلطة العلويّة التي تدبّر السماء والأرض وتصرّف شؤونهما كيف تشاء، إنّها قدرة الله تعالى ملكِ الملوك وخالقِ الدنيا وعالمِ كلّ غيب، فلا يجد القاضي من بدّ لحثّ هذا المحكوم بأحكام البشر على الحَلْف وإشهاد ربّ البشر، فمن هنا كان القَسَم بالله تعالى إشهاداً له على ما لا يعلمه غيره، فإن كان صادقاً برّاً أخذ حقّه، وإن كان كاذباً فالله تعالى لا يدَعُه حتى يعاقبه.

وفي هذا البحث يقف الباحث عند حديث من أحاديث (الصحيحين) يتعلّق بمكانة أشرف الخلق محمد صلّى الله تعالى عليه وسلم؛ لأنّه يتناول خبراً من أهم الأخبار وحدثاً من أخطر الأحداث التي مرّت في تاريخ السيرة النبويّة العطِرة، إنّه حديث الإفك الذي رَمَى فيه أهلُ الفجور الطاهرةَ عائشة زوجَ النبي عليه الصلاة والسلام بالبُهتان بُعداً منهم عن الشرف والأمانة والاحترام والتقدير، ولَجّاً منهم بالإثم والعدوان ومعصية الله تعالى والرسول، وفي هذه المشكلة ليس من شاهدٍ على الغيب إلّا الله تعالى، وإشهاد الله تعالى بالقَسَم من وسائل المؤمنين لإثبات الصدق، أولم يقل الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [النور: ٦]، بل بعد هذه الآيات مباشرة تأتي تبرئة الله تعالى عائشة رضي الله تعالى عنها.

إذاً يهدف البحث إلى دراسة وسيلة حجاجيّة مهمة من وسائل الكلام لإثبات العفّة والطهارة التي كانت عليها أمّ المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها، وهي القَسَم بالله تعالى، وكذا أقسام الذين شهدوا معها إيماناً منهم بهذه الحَصانة والصيانة الإلهيّة لزوج أكرم الخلق وأشرفهم؛ إذ لا يمكن أن تكون إلّا من أشرف النساء، فهذا حفظ الله سبحانه، فيهدف إلى إظهار الأقسام الواردة وأنماطَها والمقامَ الذي جاءت فيه ويبيّن كيف تنوّعت بحسب الغرض الذي تؤدّيه في السياق.

أما حدود البحث فهي مقام التبرئة وما رافقه من معانٍ في حديث الإفك من رواية عائشة رضي الله تعالى عنها في (صحيحي البخاريّ ومسلم)، ويفترض الباحث أنّ القَسَم يُسهم مع سائر عناصر السياق في أداء أغراض الكلام، فيُرى متآلفا مع هذه العناصر ليدعم المقام الذي جاء فيه الكلام، هذا وإنّ كثرة القَسَم في مقام التبرئة في حديث عائشة رضي الله تعالى عنها إذ رُميت بما برّأها الله تعالى منه

له مزيّة خاصة في المحاجّة والدفاع عن نفسها لما يحمل من طاقة توكيديّة لا تتأتّى من غيره بسبب معنى الحَلْف الذي هو إشهاد لله سبحانه عند المسلمين، وعند كلّ من يؤمن بالله تعالى، وبخاصّة الأقسام التي كانت قبل ظهور البراءة الربّانيّة، فالمسألة قضيّة إيمانيّة اعتقاديّة، فالحالف (عائشة رضي الله تعالى عنها) تُقسِم على براءتها قبل ظهور البراءة الربّانيّة وبعدها، وهذا يستدعي اختلافاً في الأقسام، ويفترض أنّ الأقسام الأخرى من غير قَسَم عائشة جاء أكثرها أيضاً للتبرئة، كتبرئة الأهل والأصدقاء والأصحاب، ويفترض أنّ هناك فروقاً واختلافات بين الأنماط القَسَميّة في الحديث من حيثُ عددُها ونوعها، وأنّ كلّ نمط له مزيّة مختلفة الأداء عن الأنماط الأخرى لما تحمله من عناصر سياقيّة.

وتتجلى إشكاليّة البحث في الأسئلة الآتية:

-ما الأنماط القَسَميّة المستعملة في الحديث؟ وما الاختلافات فيما بينها؟

-ما المقامات التي جاء فيها القَسَم في الحديث؟ وهل جاء القَسَم في أكثر من مقام؟

-ما الأثر البلاغي الذي أحدثه القَسَم في مقام التبرئة في حديث الإفك الذي روته عائشة رضي الله تعالى عنها في (الصحيحين)؟

-ما المقامات المرافقة لمقام التبرئة في الحديث؟

-ما الاختلافات التي حدثت في أسلوب القَسَم في سياق الحديث قبل ظهور البراءة الربّانيّة وبعدها من حيث الكمّ والنوع؟

أما منهج البحث فهو المنهج الوصفيّ التحليليّ الذي يقوم على وصف ظاهرة من الظواهر للوصول إلى أسباب هذه الظاهرة والعوامل التي تتحكم فيها، واستخلاص النتائج، وبعدُ فإنّني لم أقِفْ على دراسة تحمل هذا العنوان.

ويجري هذا البحث وفق الخطّة الآتية:

-الملخّص، فمقدمة تتضمّن تعريفاً بالبحث وأهدافه، وحدوده، وفرضيّته، وإشكاليّته، ومنهجه وخطّته.

-الدراسة، وتتضمّن: روايات الحديث في الصحيحين، وعرض الأقسام فيه وأنماطها ومقاماتها، ونظرة تحليليّة للأقسام في الحديث.

-خاتمة تتضمّن أهمّ النتائج في البحث.

الدراسة

تعريف القَسَم وأشهر أنواعه

للقسم ضربان عند العرب: الأول القسم الصريح الذي تدلّ ألفاظه على أنّه قسم وهو نوعان:

-النوع الأول من القسم الصريح: القسم المظهر: وتكون جملة القسم فيه ظاهرة من خلال الفعل أو الاسم، فالفعلية كالقول: (أحلف بالله لأفعلنَّ: ظهر فعل القسم، والله لأفعلنّ: قُدِّر فعل القسم، لأفعلنّ: تقدَّر جملة القسم الفعلية)،، أما الجملة الاسميّة فمثل صيغة (لعمر الله) وصيغة (يمين الله) وما شابهها، فتقول مثلاً: يمينُ الله لأحبّنَّ أهل الخير.

-النوع الثاني من القسم الصريح: القسم المضمر / المقدر: وهو القسم الذي حذفت فيه جملة القسم ولم يبقَ منها شيء، وإنّما يُستدلُّ عليه بجملة الجواب، من خلال (اللام) و (نون) التوكيد، أو ما دلّت عليه (اللام) و (قد)، أو ما دلّت عليه (لئن)، تقول مثلاً: (لأطيعنَّ والديّ – لقد أطعت الله – لئن قدرت لأساعدنّ الضعيف).

والثاني القسم غير الصريح: وهو القسم الذي لا يُعلم من خلال لفظه بل من معناه أنّه قَسَم، نحو (علم الله) و (عاهدت) و (واثقت)، و (عليّ عهد الله)، و (في ذمّتي ميثاق)، وليس بمجرد النطق بشيء من هذا الكلام يُعلم كونُه قَسَماً، بل بقرينة كذكر جواب بعده يكون جواب قسَم. (انظر: ابن مالك، (١٩٩٠م)، ج٣ / ص: ١٩٥، وما بعد، فيه تفصيلات كثيرة)، فتقول مثلاً: (علم الله لأكرمنَّ المعلم – في ذمتي ميثاق لأحترمنّ الأصحاب).

مفهوم المقام

قال أهل اللغة في الحديث عن المقام: "وتقول: قُمْتُ قياماً ومَقاماً، وأَقَمْتُ بالمكان إقامةً ومُقاماً. والمَقامُ: موضع القَدَمَيْنِ، والمُقامُ والمُقامةُ: الموضع الذي تقيم فيه" [(الفراهيدي، (بلا تاريخ)، ج٥/ ص: ٢٣٢) / وانظر: (الهروي، (١٩٦٤م)، ج٤/ ص: ٢١٤) / (الأزهري، (٢٠٠١م)، ج٩/ ص: ٢٦٧) / (المرسي، (٢٠٠٠م)، ج٦/ ص: ٥٨٩) / (الإفريقي، (١٤١٤هـ)، ج١٢/ ص: ٤٩٨)]، وقالوا: "والمُقامَةُ بالضم: الإقامَة. والمَقامَةُ بالفتح: المجلسُ، والجماعة من الناس. وأما المَقامُ والمُقامُ [فيكون مصدرا ميميّاً] فقد يكون كلُّ واحدٍ منهما بمعنى الإقامةِ وقد يكون بمعنى موضع القيام [فيكون اسماً للمكان]"(الجوهري، (١٩٨٧م)، ج٥/ ص: ٢٠١٧).

أما عند أهل البلاغة فالمقامات تعود إلى مقتضى الحال والمناسبة وهي الداعية إلى التكلّم

على وجه مخصوص، قال السكّاكيّ: "لا يخفى عليك أنّ مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التشكّر يُباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذمّ، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب، ومقام الجدّ في جميع ذلك يباين مقام الهزل، وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار، جميع ذلك معلوم لكلّ لبيب، وكذا مقام الكلام مع الذكيّ يغاير مقام الكلام مع الغبيّ، ولكلّ من ذلك مقتضًى غير مقتضى الآخر. ثم إذا شرعت في الكلام فلكلّ كلمة مع صاحبتها مقام، ولكلِّ حدٍّ ينتهي إليه الكلامُ مقامٌ، وارتفاع شأن الكلام في باب الحُسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به، وهو الذي نسمّيه مقتضى الحال..." (السكاكي، (١٩٨٧م)، ص: ١٦٨)، ويعلق التفتازانيّ: "والحال والمقام متقاربا المعنى، والتغاير بينهما اعتباريّ، فإنّ الأمر الداعي مقامٌ باعتبار توهّم كونه محلّا لورود الكلام فيه على خصوصيّة ما، وحال باعتبار توهّم كونه زماناً له، وأيضاً المقام تعدُّ إضافته إلى المقتضى، فيقال: مقام التأكيد والإطلاق والحذف والإثبات والحال إلى المقتضى فيقال: حال الإنكار وحال خلوّ الذهن وغير ذلك، فعند تفاوت المقامات تختلف مقتضيات المقام ضرورة أنّ الاعتبار اللائق بهذا المقام غير الاعتبار اللائق بذلك، واختلافها عين اختلاف مقتضيات الأحوال" (التفتازاني (٢٠٠٣)، ص: ١٥٣)، ويذهب ضياء الدين القالش إلى أنّ الحال والمقام إطاران يشتملان على جملة من القرائن... وهي على ثلاث جهات: أحوال المتكلّم، وأحوال المخاطب، والظروف المحيطة بالكلام، ويفصل فيها تفصيلاً حسناً للمراجع (انظر: القالش، (٢٠٢٢)، ص: ١٤١، وما بعد).

وفي هذا البحث يعتمد الباحث ما ذهب إليه أهل البلاغة.

روايات الحديث:

للوقوف على الأقسام الواردة في الحديث لا غنى عن عرض الحديث بتمامه كما أوردَه مسلم، لأنّ البخاريّ قد جعله كعادته على أبواب عديدة بحسب الحكمة التي يراها في كلّ جزء منه، فجاء هذا الحديث الطويل في مكان واحد عند مسلم وفي عدة أماكن عند البخاريّ[١]، ثم أُضيْفُ إلى هذه

الرواية ما زاد عند البخاريّ.

---

١ أرقام الأحاديث التي توزع عليها حديث الإفك في (البخاري، (١٤٢٢هـ)) هي: (٢٦٣٧ –٢٦٦١ –قبل ٣٨٠٧ –٤٠٢٥ – قبل ٤١٣٨ –٤١٤١ –٤١٤٥ –٤١٤٦ –٤٦٩٠ –٤٧٤٩ –٤٧٥٠ –قبل ٤٧٥١ –٤٧٥٣ –٤٧٥٧ –٤٨٢٧ –٦٦٦٢ – ٦٦٧٩ –٦٨١٣ –٧٣٦٩ –٧٥٠٠ –٧٥٤٥).

الحديث بتمامه في صحيح مسلم:

قال مسلم[٢]: حَدَّثَنَا حِبَّانُ بْنُ مُوسَى، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، أَخْبَرَنَا يُونُسُ بْنُ يَزِيدَ الْأَيْلِيّ، وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ -قَالَ ابْنُ رَافِعٍ: حَدَّثَنَا، وقَالَ الْآخَرَانِ: أَخْبَرَنَا- عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ -وَالسِّيَاقُ حَدِيثُ مَعْمَرٍ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدٍ وَابْنِ رَافِعٍ-: قَالَ يُونُسُ وَمَعْمَرٌ جَمِيعاً: عَنِ الزُّهْرِيِّ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَعَلْقَمَةُ بْنُ وَقَّاصٍ وَعُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا: فَبَرَّأَهَا اللهُ مِمَّا قَالُوا، وَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي طَائِفَةً مِنْ حَدِيثِهَا، وَبَعْضُهُمْ كَانَ أَوْعَى لِحَدِيثِهَا مِنْ بَعْضٍ، وَأَثْبَتَ اقْتِصَاصاً، وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمُ الْحَدِيثَ الَّذِي حَدَّثَنِي، وَبَعْضُ حَدِيثِهِمْ يُصَدِّقُ بَعْضاً، ذَكَرُوا، أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَراً، أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا، فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ

---

٢ احتفظت بالسند لأنّه بُنيت عليه نتيجة خاصة بالرواية والاحتجاج، وأعرض شرح مفردات الحديث معاً تخفيفاً لكثرة على القارئ الكريم: **(غزوة غزاها:** هي غزوة بني المُصْطلق سنة ٥هـ وهو الأقوى. **آذن بالرحيل:** أعلم. **جزع ظفار:** الجزع خرز يماني وظُفارِ قرية باليمن. **الرهط:** هم جماعة دون العشرة. **يرحَلون لي:** يجعلون الرحل على البعير. **الهودج:** مركب من مراكب النساء. **يُهَبَّلن:** يثقلن باللحم والشحم. **الغُلْقة:** القليل ويقال لها أيضا البلغة. **قد عرس:** التعريس النزول آخر الليل في السفر لنوم أو استراحة. **فادّلج:** الادّلاج هو السير آخر الليل. **سواد إنسان:** شخصه. **خمرت وجهي:** غطّيته. **موغرين في نحر الظهيرة:** الموغِر: النازل في وقت الوغرة وهي شدة الحر ونحر الظهيرة وقت القائلة وشدة الحر. **تولّى كبره:** معظمه. **الإفك:** الكذب **يريبني:** يشككني. **كيف تيكم:** إشارة إلى المؤنثة. **نقِهت:** أفقت وبرأت من المرض من عهد قريب. **المناصع:** هي مواضع خارج المدينة. **الكنف:** جمع كنيف، الكنيف الساتر مطلقا. **التنزه:** طلب النزاهة بالخروج إلى الصحراء. **المرط:** كساء من صوف أو غيره. **تعس:** عثر أو هلك أو لزمه الشر أو بَعُد أو سقط بوجهه خاصة. **أي هنْتاه:** يا هذه أو يا امرأة أو يا بلهاء كأنها نسبت إلى قلة المعرفة بمكايد الناس وشرورهم. **وضيئة:** جميلة. **ضرائر:** زوجات الرجل، لأن كل واحدة تتضرر بالأخرى بالغيرة والقسم وغيره. **لا يرقأ:** لا ينقطع. **استلبث الوحي:** أي أبطأ ولبث ولم ينزل. **أغمصه عليها:** أعيبها به. **الداجن:** الشاة التي تألف البيت ولا تخرج إلى المرعى. **من يعذرني:** من يقوم بعذري إن كافأته على قبيح فعاله، أو: من ينصرني. **اجتهلته الحميّة:** أخفّته وأغضبته وحملته على الجهل. وكذلك احتملته الحميّة: أغضبته. **رهط:** جماعتك. **فثار الحيّان:** تناهضوا للنزاع والعصبيّة. **ألممت بذنب:** فعلت ذنبا وليس ذلك لك بعادة. **قلَص دمعي:** ارتفع لاستعظام ما يعيبني من الكلام. **ما رام:** أي ما فارق. **البرحاء:** الشدة. **يتحدر:** يتصبب. **الجمان:** الدُّرّ. **سُرّيَ:** كُشف وأُزيل. **ولا يأتل:** لا يحلف، والألْيّة اليمين. **أحمي سمعي وبصري:** أي أصون سمعي وبصري من أن أقول سمعت ولم أسمع وأبصرت ولم أبصر. **تساميني:** تفاخرني وتضاهيني بجمالها ومكانتها عند النبي صلى الله عليه وسلم. **طفقت:** جعلت. **ما كشفت عن كنف أنثى:** الكنف هنا ثوبها الذي يسترها، كناية عن عدم جماع النساء جميعهن ومخالطتهن، **أبنوا:** اتهموا. **حتى أسقطوا لها به:** صرحوا لها بالأمر، أو: أتوا بسقط من القول في سؤالها وانتهارها. **تبر الذهب الأحمر:** القطعة الخالصة منه. **يستوشيه:** يستخرجه بالبحث والمسألة ثم يفشيه ويشيعه ويحركه ولا يدعه يخمد. [انظر: (النوويّ (١٣٩٢هـ)، ج١٧ /ص: ١٠٢) / (الولّويّ (١٤٢٦-١٤٣٦هـ)، ج٤٣ / ص: ٨٦)].

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذَلِكَ بَعْدَمَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي، وَأُنْزَلُ فِيهِ مَسِيرَنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوِهِ، وَقَفَلَ، وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ، آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ، فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ مِنْ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ، فَلَمَسْتُ صَدْرِي فَإِذَا عِقْدِي مِنْ جَزْعِ ظَفَارِ قَدِ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يَرْحَلُونَ لِي فَحَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِيَ الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، قَالَتْ: وَكَانَتِ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافاً، لَمْ يُهَبَّلْنَ وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ، إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلْقَةَ مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ ثِقَلَ الْهَوْدَجِ حِينَ رَحَلُوهُ وَرَفَعُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا، وَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَمَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ، فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ، فَتَيَمَّمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، وَظَنَنْتُ أَنَّ الْقَوْمَ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ قَدْ عَرَّسَ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ فَادَّلَجَ، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ، فَأَتَانِي فَعَرَفَنِي حِينَ رَآنِي، وَقَدْ كَانَ يَرَانِي قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ الْحِجَابُ عَلَيَّ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي، فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي، وَوَاللهِ مَا يُكَلِّمُنِي كَلِمَةً وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ، حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ، فَوَطِئَ عَلَى يَدِهَا فَرَكِبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِيَ الرَّاحِلَةَ، حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ، بَعْدَمَا نَزَلُوا مُوغِرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ فِي شَأْنِي، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَاشْتَكَيْتُ، حِينَ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ شَهْراً، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ، وَلَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ يَرِيبُنِي فِي وَجَعِي أَنِّي لَا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللُّطْفَ، الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي، إِنَّمَا يَدْخُلُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُسَلِّمُ، ثُمَّ يَقُولُ: كَيْفَ تِيكُمْ؟ فَذَاكَ يَرِيبُنِي، وَلَا أَشْعُرُ بِالشَّرِّ، حَتَّى خَرَجْتُ بَعْدَمَا نَقَهْتُ وَخَرَجَتْ مَعِي أُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ الْمَنَاصِعِ، وَهُوَ مُتَبَرَّزُنَا، وَلَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلاً إِلَى لَيْلٍ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنُفَ قَرِيباً مِنْ بُيُوتِنَا، وَأَمْرُنَا أَمْرُ الْعَرَبِ الْأُوَلِ فِي التَّنَزُّهِ، وَكُنَّا نَتَأَذَّى بِالْكُنُفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بُيُوتِنَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ، وَهِيَ بِنْتُ أَبِي رُهْمِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَأُمُّهَا ابْنَةُ صَخْرِ بْنِ عَامِرٍ، خَالَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَابْنُهَا مِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَبِنْتُ أَبِي رُهْمٍ قِبَلَ بَيْتِي، حِينَ فَرَغْنَا مِنْ شَأْنِنَا، فَعَثَرَتْ أُمُّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطِهَا، فَقَالَتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتِ، أَتَسُبِّينَ رَجُلاً قَدْ شَهِدَ بَدْراً، قَالَتْ: أَيْ هَنْتَاهْ أَوَ لَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ؟ قُلْتُ: وَمَاذَا قَالَ؟ قَالَتْ: فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ فَازْدَدْتُ مَرَضاً إِلَى مَرَضِي، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: كَيْفَ تِيكُمْ؟ قُلْتُ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبَوَيَّ؟ قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَتَيَقَّنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجِئْتُ أَبَوَيَّ فَقُلْتُ لِأُمِّي: يَا أُمَّتَاهْ مَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ؟ فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ هَوِّنِي عَلَيْكِ؛ فَوَاللهِ لَقَلَّمَا كَانَتِ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا، وَلَهَا ضَرَائِرُ، إِلَّا كَثَّرْنَ عَلَيْهَا، قَالَتْ قُلْتُ: سُبْحَانَ

اللهِ وَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا؟ قَالَتْ: فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي، وَدَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ، يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، قَالَتْ فَأَمَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ لَهُمْ مِنَ الْوُدِّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هُمْ أَهْلُكَ وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْراً، وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: لَمْ يُضَيِّقِ اللهُ عَلَيْكَ وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَإِنْ تَسْأَلِ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ، قَالَتْ: فَدَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَرِيرَةَ فَقَالَ: أَيْ بَرِيرَةُ هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُكِ مِنْ عَائِشَةَ؟ قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْراً قَطُّ أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا، أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ، قَالَتْ: فَقَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْراً، ولَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلاً مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْراً، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي. فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الْأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ: أَنَا أَعْذِرُكَ مِنْهُ، يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ، قَالَتْ: فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ، وَكَانَ رَجُلاً صَالِحاً، وَلَكِنِ اجْتَهَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ لَا تَقْتُلُهُ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ – وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ –، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ لَنَقْتُلَنَّهُ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ، فَثَارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ، قَالَتْ: وَبَكَيْتُ يَوْمِي ذَلِكَ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ بَكَيْتُ لَيْلَتِي الْمُقْبِلَةَ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ وَأَبَوَايَ يَظُنَّانِ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي، فَبَيْنَمَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي اسْتَأْذَنَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَذِنْتُ لَهَا فَجَلَسَتْ تَبْكِي، قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَلَّمَ، ثُمَّ جَلَسَ، قَالَتْ: وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ لِي مَا قِيلَ، وَقَدْ لَبِثَ شَهْراً لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي بِشَيْءٍ، قَالَتْ: فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ جَلَسَ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً، فَسَيُبَرِّئُكِ اللهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ» قَالَتْ: فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً، فَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا قَالَ، فَقَالَ: وَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: وَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لَا أَقْرَأُ كَثِيراً مِنَ الْقُرْآنِ إِنِّي وَاللهِ لَقَدْ

عَرَفْتُ أَنَّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ بِهَذَا حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي نُفُوسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، فَإِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُونَنِي وَإِنِّي وَاللهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلاً إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ{فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ} [يوسف: ١٨] قَالَتْ: ثُمَّ تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي، قَالَتْ: وَأَنَا، وَاللهِ حِينَئِذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ وَأَنَّ اللهَ مُبَرِّئِي بِبَرَاءَتِي، وَلَكِنْ، وَاللهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يُنْزَلَ فِي شَأْنِي وَحْيٌ يُتْلَى، وَلَشَأْنِي كَانَ أَحْقَرَ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللهُ بِهَا، قَالَتْ: فَوَاللهِ مَا رَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجْلِسَهُ، وَلَا خَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ أَحَدٌ حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرَحَاءِ عِنْدَ الْوَحْيِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ الْعَرَقِ، فِي الْيَوْمِ الشَّاتِ، مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ، قَالَتْ: فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ: أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ أَمَّا اللهُ فَقَدْ بَرَّأَكِ، فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللهَ، هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ بَرَاءَتِي، قَالَتْ: فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ} مِنْكُمْ عَشْرَ آيَاتٍ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ بَرَاءَتِي، قَالَتْ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ: وَاللهِ لَا أُنْفِقُ عَلَيْهِ شَيْئاً أَبَداً بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى} إِلَى قَوْلِهِ: {أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ} [النور: ٢٢]، قَالَ حِبَّانُ بْنُ مُوسَى: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: هَذِهِ أَرْجَى آيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَداً، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ، زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَمْرِي: مَا عَلِمْتِ؟ أَوْ مَا رَأَيْتِ؟ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي، وَاللهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْراً. قَالَتْ عَائِشَةُ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَصَمَهَا اللهُ بِالْوَرَعِ، وَطَفِقَتْ أُخْتُهَا حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ تُحَارِبُ لَهَا، فَهَلَكَتْ فِيمَنْ هَلَكَ. قَالَ الزُّهْرِيُّ: فَهَذَا مَا انْتَهَى إِلَيْنَا مِنْ أَمْرِ هَؤُلَاءِ الرَّهْطِ، وقَالَ فِي حَدِيثِ يُونُسَ: احْتَمَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ" (القشيريّ، (١٩٩١)، ج٤ / ص: ٢١٢٩، رقم الحديث:٢٧٧٠).

وفي رواية: "قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ: وَاللهِ إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي قِيلَ لَهُ مَا قِيلَ لَيَقُولُ: سُبْحَانَ اللهِ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا كَشَفْتُ عَنْ كَنَفِ أُنْثَى قَطُّ، قَالَتْ: ثُمَّ قُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ شَهِيداً فِي سَبِيلِ اللهِ" (القشيريّ، (١٩٩١)، ج٤ / ص: ٢١٣٧، رقم الحديث:٢٧٧٠).

وفي رواية: "عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: لَمَّا ذُكِرَ مِنْ شَأْنِي الَّذِي ذُكِرَ، وَمَا عَلِمْتُ بِهِ، قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطِيباً فَتَشَهَّدَ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي أُنَاسٍ أَبَنُوا أَهْلِي، وَايْمُ اللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي مِنْ سُوءٍ قَطُّ، وَأَبَنُوهُمْ، بِمَنْ وَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَطُّ، وَلَا دَخَلَ بَيْتِي قَطُّ إِلَّا وَأَنَا حَاضِرٌ، وَلَا غِبْتُ فِي سَفَرٍ إِلَّا غَابَ مَعِي. وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِقِصَّتِهِ، وَفِيهِ: وَلَقَدْ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْتِي، فَسَأَلَ جَارِيَتِي، فَقَالَتْ: وَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا عَيْباً إِلَّا أَنَّهَا كَانَتْ تَرْقُدُ حَتَّى تَدْخُلَ الشَّاةُ فَتَأْكُلَ عَجِينَهَا، أَوْ قَالَتْ خَمِيرَهَا – شَكَّ هِشَامٌ – فَانْتَهَرَهَا بَعْضُ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اصْدُقِي رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى أَسْقَطُوا لَهَا بِهِ، فَقَالَتْ: سُبْحَانَ اللهِ وَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلَّا مَا يَعْلَمُ الصَّائِغُ عَلَى تِبْرِ الذَّهَبِ الْأَحْمَرِ، وَقَدْ بَلَغَ الْأَمْرُ ذَلِكَ الرَّجُلَ الَّذِي قِيلَ لَهُ، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَاللهِ مَا كَشَفْتُ، عَنْ كَنَفِ أُنْثَى قَطُّ. قَالَتْ عَائِشَةُ: وَقُتِلَ شَهِيداً فِي سَبِيلِ اللهِ، وَفِيهِ أَيْضاً مِنَ الزِّيَادَةِ: وَكَانَ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا بِهِ مِسْطَحٌ وَحَمْنَةُ وَحَسَّانُ، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ فَهُوَ الَّذِي كَانَ يَسْتَوْشِيهِ وَيَجْمَعُهُ، وَهُوَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ وَحَمْنَةُ" (القشيري، (١٩٩١)، ج٤ / ص: ٢١٣٧، رقم الحديث:٢٧٧٠).

الزيادات عند البخاريّ

-حَلْفُ أمّ مسطح: "فَقُلْتُ لَهَا: أَيْ أُمِّ أَتَسُبِّينَ ابْنَكِ؟ فَسَكَتَتْ ثُمَّ عَثَرَتِ الثَّالِثَةَ، فَقَالَتْ: تَعَسَ مِسْطَحٌ فَانْتَهَرْتُهَا، فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا أَسُبُّهُ إِلَّا فِيكِ، فَقُلْتُ فِي أَيِّ شَأْنِي؟ قَالَتْ: فَبَقَرَتْ لِي الحَدِيثَ، فَقُلْتُ: وَقَدْ كَانَ هَذَا؟ قَالَتْ: نَعَمْ، وَاللَّهِ. فَرَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي كَأَنَّ الَّذِي خَرَجْتُ لَهُ لاَ أَجِدُ مِنْهُ قَلِيلاً وَلاَ كَثِيراً، وَوُعِكْتُ" (البخاريّ، (١٤٢٢هـ)، ج٦/ ص: ١٠٧، رقم الحديث: ٤٧٥٧).

-حَلْفُ أبي بكر وعائشة: "أَقْسَمْتُ عَلَيْكِ أَيْ بُنَيَّةُ إِلَّا رَجَعْتِ إِلَى بَيْتِكِ فَرَجَعْتُ، وَلَقَدْ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْتِي فَسَأَلَ عَنِّي خَادِمَتِي" (البخاريّ، (١٤٢٢هـ)، ج٦ / ص: ١٠٧، رقم الحديث: ٤٧٥٧)، وحَلْفه: "فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ الَّذِي كَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ" (البخاريّ، (١٤٢٢هـ)، ج٣/ ص: ١٧٣، رقم الحديث:٢٦٦١، و: ج ٥ / ص: ١١٦، رقم الحديث:٤١٤١، و: ج٦ / ص: ١٠١، رقم الحديث: ٤٧٥٠، و: ج٨ / ص: ١٣٨، رقم الحديث: ٦٦٧٩)، وحلفه: "فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لاَ أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَداً" (البخاريّ، (١٤٢٢هـ)، ج٥ / ١١٦، رقم الحديث:٤١٤١، و: ج٦ / ١٠١، رقم الحديث: ٤٧٥٠).

-حَلْفُ عائشةَ إذ سمعت الخبر من أمها: "فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، أَوَلَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا؟" (البخاريّ، (١٤٢٢هـ)، ج٥/ ص: ١١٦، رقم الحديث:٤١٤١، و: ج٦ / ص: ١٠١، رقم الحديث: ٤٧٥٠)،

وحَلْفُها: "وَلَكِنْ أَحْمَدُ اللَّهَ الَّذِي أَنْزَلَ بَرَاءَتِي، لَقَدْ سَمِعْتُمُوهُ فَمَا أَنْكَرْتُمُوهُ وَلاَ غَيَّرْتُمُوهُ" (البخاريّ، (١٤٢٢هـ)، ج٦ / ص: ١٠٧، رقم الحديث: ٤٧٥٧).

-حَلْفُ أسامةَ بن زيد: "فَأَمَّا أُسَامَةُ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الوُدِّ لَهُمْ، فَقَالَ أُسَامَةُ: أَهْلُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلاَ نَعْلَمُ وَاللَّهِ إِلَّا خَيْراً" (البخاريّ، (١٤٢٢هـ)، ج٣ / ص: ١٧٣، رقم الحديث:٢٦٦١).

-حَلْفُ سعدِ بن معاذ: "فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا وَاللَّهِ أَعْذُرُكَ مِنْهُ إِنْ كَانَ مِنَ الأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ..." (البخاريّ، (١٤٢٢هـ)، ج٣ / ص: ١٧٣، رقم الحديث:٢٦٦١).

الأقسام الواردة في الحديث، أنماطها ومقاماتها:

لدى النظر في الأقسام الواردة في هذا الحديث الطويل في مجموعه عند البخاريّ ومسلم يحدد الباحث الأنماط والأقسام التي جاءت عليه والمقام الذي وردت فيه وفق النموذج:

-**النمط:** (...).

القَسَم وجوابه في الحديث	المقام

فكانت على النحو الآتي:

القَسَم الصريح الظاهر الفعلي:

- (بلى + والله + إنّ + اسمها + اللام المزحلقة + خبرها: جملة فعليّة فعلها مضارع).

	الفرح بالتبرئة الربّانيّة -رد التصرف الخاطئ من وجهة نظر المتكلّم -الانتصار للدين -الحرص على رضى الله تعالى -المسامحة

وأبو بكر رضي الله تعالى عنه يردُّ فعلَه الخاطئ في منع العطاء، ويؤكّد استمراره لأنّه مقترن بمحبة الله تعالى، و (إنّ) تعطي مع (اللام المزحلقة) زيادة توكيد.

- (لكن + والله + ما + كان + اسمها + خبرها: جملة فعليّة فعلها مضارع).

وَلَكِنْ، وَاللهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يُنْزَلَ فِي شَأْنِي وَحْيٌ يُتْلَى...	الفرح بالتبرئة الربّانيّة -إنكار التهمة الباطلة – الحزن -إظهار نعم الله الفائضة على عباده-استصغار قوة النفس أمام تقدير الله تعالى -الثقة بنصر الله تعالى

فتظهر عائشة رضي الله تعالى عنها الحالة التي آلت إليها بعد أن برّأها الله تعالى مما قالوا.

- (فعل القَسَم: أَقْسَمت عليكِ + إلّا + فعل ماض)، ويُراد به الطلب.

أَقْسَمْتُ عَلَيْكِ أَيْ بُنَيَّةُ إِلَّا رَجَعْتِ إِلَى بَيْتِكِ	تبرئة الأب ابنته –مخاطبة الولد غير المطيع في أمر ما لإلزامه بالامتثال–الحزن لحال ابنته عائشة بسبب اتهامها بالإفك

والقَسَم باستعمال الفعل دعوة صريحة منه لإلزامها.

– (والذي نفسي بيده + ما النافية + فعل ماض).

فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا كَشَفْتُ عَنْ كَنَفِ أُنْثَى قَطُّ	تبرئة النفس والطرف الآخر

فهذه النفس يملكها الله تعالى ويصرّفها ويقلّبها كيف يشاء، والحَلْف بمالكها اعتراف بضعف النفس البشريّة، ولكنه هنا توكيد على أنّ النفس لم تضعف في هذا الموقف لا من قِبَلِه ولا من قِبَلِ الطرف الآخر في الاتّهام، والمتّهمان هما عائشة وصفوان رضي الله تعالى عنهما.

– (والذي بعثك بالحقّ + إنْ النافية + فعل ماض).

وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْراً قَطُّ أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا	تبرئة بريرة عائشة

إنّه حَلْف بمالك هذه النفس باعث الرسل بالحقّ ليهدوا الناس إلى الصراط المستقيم، اللهِ تعالى الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي صدور الخلق حتّى أرسل إليهم عباده المصطَفين الأخيار، فهذا يدفع الإنسان لئلّا يكذبَ أو يظلمَ أحداً؛ فلا يقول إلّا الصدق.

– (والله + جواب قَسَم محذوف)، والحذف نحوي؛ لأنّه مفهوم من جهة البلاغة.

وَإِنِّي، وَاللهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلاً إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾	تبرئة النفس – طلب التبرئة من الله تعالى –إنكار التهمة الباطلة – الحزن –استصغار قوة النفس أمام تقدير الله تعالى –الغضب والخوف من الظلم –الثقة بنصر الله تعالى
وَأَنَا، وَاللهِ حِينَئِذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ وَأَنَّ اللهَ مُبَرِّئِي بِبَرَاءَتِي	تبرئة النفس– طلب التبرئة من الله تعالى –إنكار التهمة الباطلة – الحزن –استصغار قوة النفس أمام تقدير الله تعالى –الغضب والخوف من الظلم –الثقة بنصر الله تعالى
أَهْلُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلاَ نَعْلَمُ وَاللَّهِ إِلَّا خَيْراً	تبرئة أسامة عائشة
يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا وَاللَّهِ أَعْذُرُكَ مِنْهُ	تبرئة سعد بن معاذ عائشة –ضرورة الدفاع عن النبي عليه والسلام وعرضه لأنّه دفاع عن الدين
فَقُلْتُ: وَقَدْ كَانَ هَذَا؟ قَالَتْ: نَعَمْ، وَاللَّهِ	تبرئة أم مسطح عائشة –إظهار عظم خطأ ابنها مسطح وادعائه الكاذب بحديث الإفك

إنّ القَسَم هنا توكيديّ مَحْض مثل كلّ السياقات، وغايته العُليا تقوية للحُجّة في الكلام.

–(والله + إنّ + اسمها + خبرها: جملة فعليّة فعلها مضارع)، عدم السَّبْقِ بالأداة (بلى) في هذه

الرواية.

وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي	فرح أبي بكر بالتبرئة الربّانيّة –إظهار الاتباع الدقيق لأوامر الله تعالى –الحرص على رضى الله تعالى –المسامحة
وَاللهِ إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي قِيلَ لَهُ مَا قِيلَ لَيَقُولُ...	تبرئة عائشة صفوان – تبرئة الطرف الآخر–إظهار عفة صفوان بن المعطّل وعدم زواجه

إنّه توكيد لاستمرار الحدث، وتزيد طاقته التوكيديّة مع (إنّ).

– (والله + ما النافية + فعل ماض + إلّا / أو: حتّى)، فيه قصر، أو شبيه معنى القصر مع حتّى.

فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْراً	تبرئة النبي عليه الصلاة والسلام عائشة
فَوَاللهِ مَا رَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجْلِسَهُ، وَلَا خَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ أَحَدٌ حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...	الفرح بالتبرئة الربّانيّة وسرعة انتصار الله تعالى لعباده المظلومين
يَا رَسُولَ اللهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي، وَاللهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْراً	تبرئة زينب عائشة
سُبْحَانَ اللهِ وَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلَّا مَا يَعْلَمُ الصَّائِغُ عَلَى تِبْرِ الذَّهَبِ الْأَحْمَرِ / وفي رواية: وَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا عَيْباً إِلَّا أَنَّهَا كَانَتْ تَرْقُدُ حَتَّى تَدْخُلَ الشَّاةُ فَتَأْكُلَ عَجِينَهَا	تبرئة بريرة عائشة

وأسلوب القصر فيه توكيد زائد نابع من تخصيص شيء بشيء، وهو علم الخير عن عائشة رضي الله تعالى عنها مع (إلّا) وإظهار سرعة الانتصار مع حتّى؛ لأن الأسلوب هنا يبيّن أن الانتصار قد حصل قبل الخروج من المجلس.

– (والله + لقد + فعل ماض).

إِنِّي وَاللهِ لَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ بِهَذَا حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي نُفُوسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ	تبرئة النفس –إنكار التهمة الباطلة – الحزن –الغضب والخوف من الظلم

ووجود (اللام) و (قد) يعطي توكيداً زائدا.

– (والله + اللام + فعل ماض).

فَوَاللهِ لَقَلَّمَا كَانَتِ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا، وَلَهَا ضَرَائِرُ، إِلَّا كَثَّرْنَ عَلَيْهَا	تبرئة الأم ابنتها – المؤانسة

وكأنّ السياق: ما كانت امرأة وضيئة إلّا كثّرت عليها الضرائر... فهو في معنى جواب القَسَم ذي أسلوب القصر، ففيه توكيد زائد آت من معنى القصر.

- (والله + لا النافية + فعل مضارع: فاعله أنا المستتر).

وَاللهِ لَا أُنْفِقُ عَلَيْهِ شَيْئاً أَبَداً بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ	الفرح بالتبرئة الربّانيّة –الغضب من المنافقين ورمي المؤمنين بالباطل
وَاللَّهِ لاَ أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَداً	الفرح التبرئة الربّانيّة –الحرص على رضى الله تعالى–العفو والمسامحة

والدلالة في كليهما على الاستقبال.

- (والله + لا النافية + فعل مضارع: فاعله أنا المستتر + إلّا)، فيه قصر.

وَاللهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللهَ، هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ بَرَاءَتِي	الفرح بالتبرئة الربّانيّة –الشكر الحقيقي لله تعالى

وهذا من وجهة نظر الباحث للمستقبل القريب لأنّ عائشة رضي الله تعالى عنها لا يُتوقّع منها البعد عن النبي عليه الصلاة والسلام، فما هذا الفعل إلّا من باب معاتبة الأحبّة.

- (والله + ما النافية + فعل مضارع).

وَوَاللهِ مَا يُكَلِّمُنِي كَلِمَةً وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ	تبرئة النفس وتبرئة صفوان
وَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (جاء مرتين)	تبرئة النفس –التحير في الإجابة

- (والله + ما النافية + فعل مضارع + إلّا)، فيه قصر.

وَاللَّهِ مَا أَسُبُّهُ إِلَّا فِيكِ	تبرئة أم مسطح عائشة

والقصر يعطيه توكيداً زائدا.

القَسَم الصريح المُضْمَر:

- (قَسَم مضمر: جملة القَسَم محذوفة + لقد + فعل ماض).

وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلاً مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْراً	تبرئة النبي علي الصلاة والسلام عائشة وصفوان
وَلَقَدْ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْتِي...	البحث عن التبرئة –الحزن من حديث الإفك ومما فعل النبي عليه الصلاة والسلام
لَقَدْ سَمِعْتُمُوهُ فَمَا أَنْكَرْتُمُوهُ وَلاَ غَيَّرْتُمُوهُ	البحث عن التبرئة الربّانيّة – الإنكار عليهم –الحزن والاستغراب من حديث الإفك ومما فعل أهلها والنبي عليه الصلاة والسلام

ووجود (اللام) و (قد) في الجواب يعطي توكيداً إضافيّاً، واستشعار القَسَم المحذوف يعطي توكيداً أكثر، ولكن حذف جملة القَسَم كأنّه إشارة إلى ثبات حقيقة المحلوف عليه، وكأنّه لا يحتاج إلى التوكيد، لكنّ جواب القَسَم للتنبيه على الأهميّة في هذا المقام.

- (قَسَم مضمر: جملة القَسَم محذوفة + همزة الاستفهام + لقد + فعل ماض).

فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، أَوَلَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا؟	تبرئة النفس –العجب من حديث الناس مع علمهم بعفتها

فالقَسَم الاستعطافي (ذو الجواب الإنشائي: السؤال) يُظهِر شدّة غرابة الموقف، فعائشة المعروفة بعفّتها وطهارتها لا يمكن تصوُّرُ إتيانها بمثل هذا، فحذف القَسَم متلائم مع حال الإنكار هذه، فهي لا تحتاج للقَسَم لتثبت ذلك، والسؤال يدلّ على الاستغراب، فجواب القَسَم المذكور هو توكيد للاستغراب والعجب من هذا الإفك.

– (قَسَم مضمر: جملة القَسَم محذوفة + لئن + جملة الشرط + اللام + فعل مضارع مرفوع).

وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ... لَتُصَدِّقُونَنِي	تبرئة النفس –إنكار التهمة الباطلة – الحزن –الغضب والخوف من الظلم

القسم الصريح الظاهر الاسميّ:

– (لَعَمْرُ الله + لا + فعل مضارع).

كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ لَا تَقْتُلُهُ	الدفاع عن ابن القبيلة –الحميّة والشجاعة والحماسة –الغضب –إظهار مكانة ابن القبيلة – التحدي حميّة جاهليّة

– (لَعَمْرُ الله + اللام + فعل مضارع مؤكد بالنون).

كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ لَنَقْتُلَنَّهُ	الدفاع عن الأخ في الدين –الحميّة والشجاعة والحماسة –الغضب –إظهار خطأ الدفاع عن المنافقين للحميّة

فهذا القَسَم والذي قبله (لَعَمْر الله) جاء في مقامين متماثلين في الظاهر، لكن أحدهما دفاع عن العصبيّة الجاهليّة المقيتة، والآخر دفاع عن دين الله تعالى، والقَسَم هنا يتضمّن إثبات البراءة لأنّها زوج النبي عليه الصلاة والسلام ولا يمكن أن تقترف هذا الإثم، والدفاع عنها دفاع عن الدين.

القسم غير الصريح:

– (الله يعلم + أنّ واسمها وخبرها)، قَسَم غير صريح.

وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ...	تبرئة النفس –طلب التبرئة الربّانيّة–إنكار التهمة الباطلة –الحزن –استصغار قوة النفس أمام تقدير الله تعالى –الثقة بنصر الله تعالى

ويتضمّن هذا القَسَم المعنى الحقيقي للقَسَم وهو إشهاد الله تعالى على القول، وهو المراد الأساسيّ بالقَسَم.

نظرة في الأقسام الواردة في الحديث:

جاءت الأقسام في هذا الحديث في مقامات عديدة، وأكثر مقام اتّضاحاً هو مقام التبرئة الذي يتفرّع

إلى عدّة أنواع من التبرئة: (تبرئة النفس، الطرف الآخر في الاتّهام، الأهل، الأصدقاء والأصحاب، تبرئة الله تعالى عائشة وهي الأهم في كلّ ذلك، وفيها طلب التبرئة منه سبحانه ثم الفرح بظهورها)، ونجد أنّ هناك مقامات تصاحب هذا المقام، فنجد مقامَ الحزن، أو الخوفِ من الظلم، أو التحيّرِ في الإجابة، أو العجبِ من حديث الناس بالباطل، أو الحميّةِ والشجاعة والحماسة، أو إنكارِ رميها بالتهمة الباطلة، أو مقاماتِ استصغار قوّة النفس أمام تقدير الله تعالى، أو إظهارِ نعم الله الفائضة على عباده والشكر لله تعالى، أو الحرصِ على رضى الله تعالى، أو الثقةِ بنصر الله تعالى وسرعة انتصاره سبحانه لعباده المظلومين، أو مقاماتِ الغضبِ من المنافقين ورمي المؤمنين بالباطل، أو الانتصارِ للدِّين، أو ضرورة الدفاع عن النبي عليه والسلام وعرْضِه وإعلاء شأنِه فذلك انتصار للدِّين، أو مقامَ المسامحة والعفوِ عن المسيء.

وبالنظر إلى مقام التبرئة يجد الباحث أنّ أكثر الأقسام في الحديث قد جاءت فيه، والمُلاحظ أنّ التبرئة هنا تتفرع إلى فروع، جاءت بعض الأقسام في مقام تبرئة النفس، وهو ما يُرى في حَلْف عائشة رضي الله تعالى عنها في ٨ مواضع هي: (فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، أَوَلَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا؟)، (وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ... لَتُصَدِّقُونَنِي)، (وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ...)، (وَإِنِّي، وَاللهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلاً إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ})، (وَأَنَا، وَاللهِ حِينَئِذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ وَأَنَّ اللهَ مُبَرِّئِي بِبَرَاءَتِي)، (إِنِّي وَاللهِ لَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ بِهَذَا حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي نُفُوسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ)، (وَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وجاء الأخير مرتين.

والمُلاحظ أنّها تُنوّع في أنماط الأقسام؛ إذ لم تكن لها حجّة غيرُ إشهاد الله تعالى، وكفى بها شهادة، وجوهر القَسَم إشهاد الله سبحانه على الأمور، فهذا التنويع في الأقسام إنّما هو تنويع في الحُجج المقدَّمة من لدُنْها، فليس لها حيلة غير الاعتماد على الله تعالى، ويظهر في أنماط الأقسام أنَّ بعضها أشدّ توكيداً من بعض، والسبب في ذلك المقام الذي جاء فيه كلّ قَسَم، ولعلّ المقامات المرافقة لهذه الأقسام هو ما دفع إلى هذا التنويع، فالقَسَم الاستعطافي إنشائي الجواب (أولقد تحدث الناس بهذا) هو للاستفسار عن صحة الأمر، يختلف عن مقام القَسَم (لئن اعترفت لتصدقونني) والمتضمّن شرطاً يناسب النقاش المنطقي في معرض الدفاع بالحجّة العقليّة، أما القَسَم غير الصريح (الله يعلم أنّي بريئة) فمتوائم مع حال الحزن والضعف التي تُرجع الأمور فيها إلى الله تعالى وحدَه، ومع زيادة الحزن والإنكار والغضب نجد مؤكّدات أخرى في القَسَم (وإنّي والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلّا كما قال أبو يوسف) فأكّدت السياق بـ (إنّ) وبأسلوب القصر الذي أفاد التخصيص، ومثله (وأنا والله حينئذٍ أعلم أنّي بريئة)، فدخل القَسَم في السياق توكيداً إضافياً لمعناه، ويزيد الحال حزناً وإنكاراً وغضباً وخوفا

فنجد القَسَم مشتدَّ التوكيد (إنّي والله لقد عرفت أنّكم قد سمعتم بهذا)، فتستعمل المؤكدات: (إنّ، أنّ، اللام، قد: مرتين)، وهذا متناسب مع المقام، وعند الحيرة نجد قَسَماً بجواب منفيّ وفعل مضارع للحال في الحزن فتُقْسِم (والله ما أدري).

وجاءت بعضها في مقام تبرئة النفس مع الطرف الآخر، وطرفا القضيّة عائشةُ وصفوانُ رضي الله تعالى عنهما:

-حَلْف عائشة: (وَوَاللهِ مَا يُكَلِّمُنِي كَلِمَةً وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ)، (وَاللهِ إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي قِيلَ لَهُ مَا قِيلَ لَيَقُولُ...).

-حَلْف صفوان: (فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا كَشَفْتُ عَنْ كَنَفِ أُنْثَى قَطُّ).

فعائشة رضي الله تعالى عنها تبرّئ نفسها وصفوانَ في الوقت ذاته، فتحلف وكأنّها مندهشة ممّا يُقال (والله ما يكلّمني ولا سمعت منه) ومُقسِمةً لتبرّئه بقَسَم مؤكّد الجواب (والله إنّ الرجل ليقول...)، ويحلف صفوان مبرّئاً نفسه وعائشة (والذي نفسي بيده ما كشفت عن كنف أنثى) ليثبت بإشهاد الله تعالى مالك الأنفس وبارئها ومقلّب القلوب أنّه ما تعاطى الحرام قطّ من قبل ليأتيَ الحرام مع أطهر النساء زوجة نبي الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم.

وجاء بعضها في مقام تبرئة الأهل من زوج وأب وأمّ، فتبرئة الزوج زوجَه ومن اتَّهموها به في قَسَم النبي عليه الصلاة والسلام: (فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْراً)، (وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلاً مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْراً).

فالنبي عليه الصلاة والسلام في مقام الحَكَم؛ ويبحث عن الحقيقة، وهو أدرى الناس بزوجه، لكنّه يريد إثبات العفّة والطهارة من سؤال الناس، فيبحث عن البراءة ليُشهد الناس على ما يعلم ويعلمون، ليبرّئ عائشةَ وصفوانَ معاً، ويَلاحَظ في القَسَمين أنّ جواب القَسَم في كلّ منهما فيه أسلوب قصر، وهذا القصر يعطي توكيداً إضافياً، لكن جملة القَسَم اختلفت، ففي تبرئة زوجه يستعمل قَسَماً صريحاً ظاهراً، وهي التي يعلم عنها أكثر من كلّ الناس؛ فهي زوجه التي لا يخفى من أمورها شيء عنه وهي محور القضيّة (والله ما علمت...)، في حين يستعمل عند ذكر صفوان الذي يغيب عنه وتغيب أحواله قَسَماً مضمراً فاعليته أقلّ من القَسَم السابق في التوكيد (لقد ذكروا رجلا...).

وتبرئة الأب في قَسَم أبي بكر رضي الله تعالى عنه: (أَقْسَمْتُ عَلَيْكِ أَيْ بُنَيَّةُ إِلَّا رَجَعْتِ إِلَى بَيْتِكِ)، فيجزم عليها ويطلب ويحلف عليها ليُلزمها بالعودة لأنّه يرى أنّ الخير لها أن تبقى في بيت زوجها؛

إذ لا يمكن في هذه المحنة أن يُعِينها أحد كالنبي عليه الصلاة والسلام، وهي طريقة الأب ربّ البيت الذي يسعى أن يكون حازماً في إدارة بيته ويجتهد ليجعلهم يعيشون خير حياة ممكنة، وفي هذا الحثّ على العودة إقرار من الأب بعفّة ابنته الحَصَان الرَّزَان؛ إذ لو لم تكن كذلك ما طلب إليها العودة.

وتبرئة الأمّ في قَسَم زوج أبي بكر رضي الله تعالى عنها: (فَوَاللهِ لَقَلَّمَا كَانَتِ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا، وَلَهَا ضَرَائِرُ، إِلَّا كَثَّرْنَ عَلَيْهَا)، والملاحظ أنّ طريقة الأمّ أخفّ وطأة من طريقة الأب في الإقناع، فالقَسَم هنا لتوكيد قصص حَيَوات الناس للإفادة من تجاربهم، فنمط قَسَم الأمّ مختلف عن نمط قَسَم الأب، فلتثبت طهارة البنت ترمي التهمة على الضرائر، وما هي إلّا وسيلة للإقناع لا غير، ففي الحديث يظهر أنّ الضرائر لم يتدخّلن في هذا الأمر، بل كُنّ معها ودافعن عنها متمثّلاً موقفهنّ بزينب رضي الله تعالى عنها.

وجاء بعضها في مقام تبرئة الأصدقاء والأصحاب، يتجلّى ذلك في حَلْف أمّ مسطح رضي الله تعالى عنها، أمّ الشخص الذي سعى في الفتنة: (وَاللَّهِ مَا أَسُبُّهُ إِلَّا فِيكِ)، وتُظهر فوق ذلك عِظَم خطأ ابنها وادّعائه الكاذب: (فَقُلْتُ: وَقَدْ كَانَ هَذَا؟ قَالَتْ: نَعَمْ، وَاللَّهِ)، فتبيّن بالقَسَم الأول (والله ما أسبّه إلّا فيك) من خلال الحلف بالقَسَم الصريح والجواب المقصور توكيد طهارة عائشة؛ إذ فضَّلتها على ابنها الدعيّ الكذّاب، أما القَسَم محذوف الجواب (نعم، والله) فيدلّ على أنْ لا حاجة لإكثار القول في الأمر وهي إشارة غير مُعلنة إلى العفّة والبراءة، فلا تحتاج عائشة في ذهن أم مسطح إلى دليل.

ويتجلّى في قَسَم بريرة الجارية رضي الله تعالى عنها الملازمة في أكثر الأوقات: (سُبْحَانَ اللهِ وَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلَّا مَا يَعْلَمُ الصَّائِغُ عَلَى تِبْرِ الذَّهَبِ الْأَحْمَرِ)، أو: (وَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا عَيْباً إِلَّا أَنَّهَا كَانَتْ تَرْقُدُ حَتَّى تَدْخُلَ الشَّاةُ فَتَأْكُلَ عَجِينَهَا) وهذا دليل على صِغَر سنّها وبراءتها وطيبِ نفسها وبعدها عن الخُبث، (وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْراً قَطُّ أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا)، فهي تنفي عنها كلّ سوء من القول، مستعملة القصر في (والله ما علمت إلّا خيرا)، أو: (والله ما علمت عليها عيبا إلّا...)، وفي حَلْفها بالله تعالى مُنزل الكتب باعثِ الرسل إلى الناس لإحقاق الحقّ تريد لتنفي كلّ

عيب ولتبعد كلّ نقيصة عنها.

ويتجلّى في حَلْف زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها التي تزوّجت النبي عليه الصلاة والسلام بأمر الله تعالى: (يَا رَسُولَ اللهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي، وَاللهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْراً)، فتتحرّز من الوقوع في الظلم، مستعملة أسلوب القصر في الجواب لزيادة التأكيد.

ويتجلّى في حَلْف أسامةَ بن زيد رضي الله تعالى عنه: (أَهْلَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلاَ نَعْلَمُ وَاللَّهِ إِلَّا خَيْراً)،

فيجعل القَسَم بالله تعالى اعتراضاً في الكلام ليجعله توكيداً له، فهو يريد إثبات قوله فيكون القَسَم حجّة في هذا السياق؛ فهذا العلم علمُ غيب هُدي إليه بعض الناس بفضل الله تعالى، ولا يكون الشاهد إلّا ممن حضر، فلما كان الهدي إلى الصواب من الله تعالى كان الأمثلَ إشهادُ الله تعالى عليه.

ويتجلّى في حَلْف سعد بن معاذ: (يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا وَاللَّهِ أَعْذُرُكَ مِنْهُ)، فيؤكّد كذلك بالقَسَم محذوف الجواب ويجعله اعتراضاً، وهو إذ يبرئ زوج النبي عليه الصلاة والسلام فإنّ ذلك بالنسبة إليه دفاع عن النبي عليه والسلام وعرضه لأنّه دفاع عن الدين.

أما أهمّ تبرئة فهي تبرئة الله تعالى، وهذه القضيّة تتفرع إلى البحث عن التبرئة الربّانيّة قبل ظهورها، ثم الفرح بظهورها، ويتجلّى البحث عن التبرئة في القَسَم على فعل النبي عليه الصلاة والسلام: (وَلَقَدْ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْتِي...)، فعائشة رضي الله تعالى عنها تؤكّد أنّ النبي عليه الصلاة والسلام كان متتبّعا الأمر، لكن الحلف بقَسَم مُضمر وكأنّه إشارة إلى عدم توقّعها هذا الفعل منه عليه الصلاة والسلام، والقسم توكيد على ذلك، ويؤكد ذلك إنكارها تصديقهم الأمر في سياق الحديث، فتحلف: (لَقَدْ سَمِعْتُمُوهُ فَمَا أَنْكَرْتُمُوهُ وَلاَ غَيَّرْتُمُوهُ)، كذلك هو قَسَم مضمر، متلائم مع عدم قدرتها على تصديق ما بدر منهم تجاهها.

أما الفرح بالتبرئة الربّانيّة فيظهر في حَلْف عائشة رضي الله تعالى عنها: (وَلَكِنْ، وَاللهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يُنْزَلَ فِي شَأْنِي وَحْيٌ يُتْلَى...)، (وَاللهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللهَ، هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ بَرَاءَتِي)، فيظهر فرحها بعِظَم مكانتها عند الله تعالى الذي ينصر عباده المؤمنين، فتؤكّد نفي ظنّها بنزول قرآن يبرّئها إلى يوم الدين ليكون ذلك عبرة لكلّ معتبر على مرّ الزمان، ثم في القَسَم الثاني تعبّر عن شدة فرحها بالله تعالى حتى إنّها لم تكلّم النبي عليه الصلاة والسلام مكتفية بحمد ربّ العزة الحفيظ جلّ في علاه؛ فهو وليّ المؤمنين.

وتحلف (فَوَاللهِ مَا رَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجْلِسَهُ، وَلَا خَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ أَحَدٌ حَتَّى

أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...)، فبهذا القَسَم الموجز الذي يحمل جوابه معنى القصر تؤكّد رضي الله عنها فرحها بتبرئة الله تعالى، وتمهّد لإظهار فرح النبي عليه الصلاة والسلام بذلك إذ تقول: (فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ: أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ أَمَّا اللهُ فَقَدْ بَرَّأَكِ)، إنّ الفرح بالفرج في هذا المقام ليس فرحاً خاصّاً بعائشة وحدها، إنّ عائشة هي زوج النبي عليه الصلاة والسلام، وهي أمّ المؤمنين، والمُؤْتَمنة على بيت أكرم الخلق وأمين أهل الأرض على دين الله تعالى، والطعنُ بزوجه حاشاها طعن به وبالدِّين، وحاشَا لله

أن يرضى

لعباده ذلك، ومن هنا فرح النبي عليه الصلاة والسلام.

والمعنى السابق يؤكّده قَسَم أبي بكر بعد أن أقْسَم مقتنعاً ببراءة عائشة غاضباً لأجلها: (وَاللهِ لَا أُنْفِقُ عَلَيْهِ شَيْئاً أَبَداً بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ)، لكن لما جاءت أوامر الله تعالى نجد يقول: (بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي)، وفي رواية: (وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي)، ويقول: (وَاللَّهِ لاَ أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَداً)، فعندما يتوعد بعدم الإنفاق بقَسَم جوابه فعل مضارع منفيّ (والله لا أنفق... أبداً) يتراجع بقَسَم ذي جواب اسميّ مؤكد بـِ (إنّ) وخبرها جملة فعليّة فعلها مضارع مسبوق بـِ (اللام) المزحلقة (والله إنّي لأحبّ)، إنّه يردّ على خطئه بقَسَم أكثر توكيداً ليُلزم نفسه بما يُرضي الله عز وجل من دون نفسه، ثم يأتي بنمط قَسَمي مماثل للأوّل لكن هو ضدّه في المعنى فيُقْسِم بقَسَم جوابه فعل مضارع منفيّ (والله لا أنزعها منه أبداً)، وما ذلك إلّا فرحاً بتبرئة الله تعالى عائشة، وليس السبب للنفس أو الولد، وإنّما هو فرح بانتصار دين الله تعالى وابتهاج بما آلت إليه الغموم من بعد.

هذا وإنّ الأثر الجلي الذي يأتي من القَسَم في هذا الحديث أنّ القَسَم حجّة توكيديّة عالية المقام؛ إذ لا حجّة على علم الغيب غيره، فلا يعلم غيب هذه القضيّة عدا (عائشة وصفوان) إلّا الله تعالى، وإن كان الصحابة الكرام يثقون فيحلفون، فيُلاحظ أنّ سياق الحديث مليء بالأقسام، وربا عددها فيه على ٣٠ قَسَماً، وقياساً على ما يُعلم من الكلام وما يُقرأ من النصوص فإنّه يمكن عدّ الأقسام كثيرة في هذا الحديث، وقد بلغت أساليب القَسَم (الجملة والجواب وما تعلق بهاتين الجملتين من شرط وعطف ووصف وتوكيد...) عند المقارنة والنظر قرابة الرُبُع من أساليب الكلام في هذا الحديث، فيمكن القول: إنّ أسلوب القَسَم كان مزيّة أسلوبيّة ظاهرة بارزة فيه.

خاتمة ونتائج:

يجد الباحث في خاتمة البحث جملة من النتائج.

-حَرَصَ رُواة الحديث على أدقّ التفاصيل، كالذي في رواية مسلم: "قَالَ ابْنُ رَافِعٍ: حَدَّثَنَا، وقَالَ الْآخَرَانِ: أَخْبَرَنَا"، وأمثلته كثيرة في كتب الحديث وفي (الصحيحين) بخاصّة، وهذا ممّا يدفعنا لعدم ترك أيّة رواية، لأنّها صحيحة، ولعلها نُقلت في موقف غير الموقف الذي نقلت فيه رواية أخرى.

- تمّ توظيف أنماط قَسَميّة عديدة في التبرئة لأنّها في مقام الحجّة إذ لا حجّة غيرها، وتنويعها بحسب السياق والموقف، وقد بلغ عدد الأنماط القَسَميّة ٢٠ نمطاً.

-أكثر الأقسام في الحديث جاءت في مقام التبرئة، لكنها لم تقتصر عليه، فقد اتّفقت معه مقامات عديدة مثل: الحزن، الخوف من الظلم، التحيّر في الإجابة، العجب من حديث الناس بالباطل، الحميّة والشجاعة والحماسة، إنكار رميها بالتهمة الباطلة، استصغار قوّة النفس أمام تقدير الله تعالى، إظهار نِعَم الله على عباده والشكر لله تعالى، الحرص على رضى الله تعالى، الثقة بنصر الله تعالى وسرعة انتصاره سبحانه لعباده المظلومين، مقامات الغضب من المنافقين ورمي المؤمنين بالباطل، الانتصار للدين، ضرورة الدفاع عن النبي عليه والسلام وعِرضه وإعلاء شأنه، أو مقام المسامحة والعفو عن المسيء.

- على الرغم من تعدّد استعمال أنماط التبرئة كانت تلك الأنماط تتغيّر في جملة القَسَم أو في جملة الجواب بتغير المقامات التي اندرجت في سياقها بزيادةٍ أو نقْص، وبخاصّة في توارد أدوات التوكيد التي كانت تعين القَسَم فتُعلي من الطاقة التوكيديّة للسياق بحسب الموقف.

-يُعَدُّ القَسَم في هذا الحديث مزيّة أسلوبيّة وهو يعطي طاقة حجاجيّة عالية لأنّه توكيد لغَيْب لا يعلمه ممن تكلّم في حديث الإفك أحد، إنّما يعلمه الله تعالى فيُشهده المُقسِم على ما يقول.

-كانت الأقسام كلّها بالله تعالى، وأكثرها باسمه سبحانه، وهو القَسَم الإسلامي الصحيح، فلا حَلْف في الإسلام بغير الله تعالى، حتّى القول: (لعَمْر الله) فمعناه: وحياة الله، أي والحياة التي آتانيها الله، لا أن القديم سبحانه محل للحياة كسائر الحيوانات، أو يراد: وبقاءِ الله ودوامه. (أبو حيان الأندلسي، (بلا تاريخ)، (٣٣٨/١١)، فهو حلف بالله تعالى.

-وردَ القَسَم الصريح أكثر من غير الصريح، والظاهر أكثر من المُضمر، والعلّة فيما يراه الباحث أنّ المقامات تستوجب حجة قويّة، لأنّ هناك مظلمة لا بدّ من كشفها عن المظلوم، فذلك يستدعي استحضار اسم الله تعالى أو صفاته تذكيراً به سبحانه أمام المخاطَب لئلّا يفكّر في ردّ هذا القَسَم على صاحبه.

المصادر والمراجع

-القرآن الكريم.

-الأزهريّ، محمد بن أحمد الهرويّ (٢٠٠١م): تهذيب اللغة، أبو منصور، المحقّق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.

-الإفريقيّ، محمد بن مكرم بن عليّ، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعيّ (١٤١٤هـ): لسان العرب، لبنان، بيروت، دار صادر، الطبعة الثالثة.

-البخاريّ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي (١٤٢٢هـ): الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، المسمى: صحيح البخاريّ، المحقّق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانيّة بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى. مع الكتاب: شرح وتعليق د. مصطفى ديب البُغا أستاذ الحديث وعلومه في كلّيّة الشريعة -جامعة دمشق.

-التفتازانيّ، سعد الدين مسعود بن عمر (٢٠١٣م): المُطوَّل، شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، لبنان، بيروت، دار الكتب العلميّة، الطبعة الثالثة.

-الجوهريّ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (١٩٨٧م): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربيّة، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت الطبعة الرابعة.

-أبو حيان الأندلسي (بلا تاريخ): التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، المحقق: د. حسن هنداوي، سورية، دمشق، دار القلم (من ١ إلى ٥)، وباقي الأجزاء: دار كنوز إشبيليا، الطبعة: الأولى.

-السكاكيّ، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزميّ الحنفيّ أبو يعقوب (١٩٨٧م): مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، لبنان، بيروت، دار الكتب العلميّة، الطبعة الثانية.

- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسيّ (٢٠٠٠م): المحكم والمحيط الأعظم، المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.

-القالش، ضياء الدين عبد الغني (٢٠٢٢م): القرائن في علم المعاني، الجمهوريّة اليمنيّة، صنعاء، مجمع العربيّة السعيدة.

-القشيريّ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن النيسابوري (١٩٩١م): المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، الطبعة الأولى.

-ابن مالك، محمد بن عبد الله الطائيّ الجيّانيّ، أبو عبد الله، جمال الدين (١٩٩٠م): شرح تسهيل الفوائد، المحقق: عبد الرحمن السيد، محمد بدوي المختون، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة: الأولى.

-النوويّ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف(١٣٩٢هـ): المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجّاج، لبنان، بيروت، دار إحياء التراث العربيّ، الطبعة الثانية.

-الهرويّ، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله البغدادي (١٩٦٤م): غريب الحديث، المحقق: د. محمد عبد المعيد خان، الهند، حيدر آباد، الدكن، مطبعة دائرة المعارف العثمانيّة، الطبعة الأولى.

-الولّويّ، محمد بن علي بن آدم بن موسى الإتيوبي (١٤٢٦-١٤٣٦هـ): البحر المحيط الثجّاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجّاج، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى.

سلاح الغوّاصة ودور السلطان عبد الحميد الثاني في إدخالها إلى البحريّة العثمانيّة

إعداد

أ. حسام عبد المنعم الشحاد د. سهام محمد هنداوي د. عدنان مامو